الحروب اللامتماثلة وتوازن القوى – سيف القدس انموذجاً

حسن سلمان خليفة البيضاني *
باحث من العراق
* مركز حراب للبحوث والدراسات

ملخص :

سيف القدس متغير كبير في الثوابت الإقليمية في منطقة الشرق الاوسط وهو يمثل انكسار القوه والصلابة لنظرية الامن الصهيوني في ذات الوقت فانه يعُد بمثابه تحول جذري في مقومات القوة الفلسطينية ، إنّ الخوض في هذا الموضوع ورغم انّ تأثيراته لا تزال قائمة إلا انّه في ذات الوقت يمثل سبر اغوار مستقبل المنطقة اقليميا خاصة بعد محاولات التطبيع الخليجية ذات البصمة الترامبية التي اريد لها بعث الروح في مشروع القرن، إنّ منازلة خاتمه رمضان(سيف القدس) يمكن اعتبارها الصفحة الثانية بعد الانتصارات الكبيرة في عام 2006 لفصائل المقاومة الإسلامية وإنّ كل التوقعات تشير الى ميلان الكفة لصالح قوى الممانعة اذا ما احتدم أوار المنازلة مجددا.

كلمات مفتاحية :سيف القدس، الانفاق، نظرية الأمن الصهيوني، حروب الجيل الرابع، حرب اللامتماثلة.

Al-Quds Sword Fight - Between Asymmetric Wars and the Balance of Power

Hassan Salman Khalifa Al-Baydani

ABSTRACT

The Sword of Jerusalem is a major variable in the regional facts in the Middle East، and it represents the loss of strength and solidity of the Zionist security theory at the same time. The depths of the region's future regionally، especially after the attempts of Gulf normalization with a Trumpian imprint which intended to be a mean to revive the project of the century. The battle occurred at the end of Ramadan (the Sword of Jerusalem) can be considered as a second page after the great victories in 2006 of the Islamic resistance

groups، and that all expectations point to tilting the balance in favor the forces of reluctance if the conflict flares up again.

KEY WORDS: Sword of Jerusalem، tunnels، Zionist security theory، fourth generation wars، asymmetric warfare.

المقدمة

لم تغادر القضية الفلسطينية بكل تداعياتها ابتداء من العام الذي حصلت به معركة البراق في 15 اب 1929 وحتى يومنا هذا الذاكرة العراقية والإسلامية بل إنّ ما حصل من تطورات بعد عام 1973 و سقوط الشاه عام 1978 والذي كان يمثل السند الاساسي للكيان الصهيوني في المنطقة ومجيئ رجال الثورة الإسلامية في ايران وبروز القوه المناهضة لوجود الكيان الصهيوني بشكل واسع و اكثر جدية على الساحة العربية وخاصة الساحة اللبنانية متمثلة بحزب الله كل تلك المتغيرات رسخت والى حد كبير جبهة الرفض المناهضة التطبيع بالمقابل فإنّ الأنظمة التي تدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية ما انفكت تحاول استجداء عطف الادارة الأمريكية محاولة رسم مسار لها على مختلف المستويات في أقلمة الصراع الفلسطيني الصهيوني .

إن الاحداث التي اعقبت عام 2006 والخسارة المهينة للجيش الصهيوني في سهل البقاع ادَت بتراكماتها الى الدفع باتجاه خلق نوع من التكتل اوالتحالف المقابل امام المحاولات المستمرة للانبطاح والتطبيع مع الكيان الغاصب، ورغم إن موازين القوى على مستوى المواجهة الميدانية لا تزال تميل والى حد كبير الى جانب الكيان الصهيوني وفق حسابات مقاومات القوه التقليدية الا إنّ هنالك متغير كبير وحاسم حصل على مختلف مستويات المواجهة بين مختلف القوى المتحاربة سواء في منطقه النزاع الدائم (الشرق الاوسط) او باقي مناطق العالم ذات الطبيعة القلقة اوغيرالمستقرة، هذا المتغيرات تمثل في بروز الحروب اللامتماثلة والتي ادًت نتائجها النهائية الى خلق حالة مغايرة تماما لما هو سائد في طبيعة الصراعات القائمة، وخلق نوع من التراجع وإعادة النظر في حسابات مقومات القوة التقليدية حيث برزت الى السطح مقومات اكثر تأثيرا وعمقا في تحديد نتائج تلك الصراعات.

المواجهة الأخيرة بين الكيان الصهيوني وقوى المقاومة الفلسطينية والتي امتدت على مدى (11 يوم) اقتربت كثيرا في العديد من تفاصيلها من الحروب اللامتماثلة متخذة من حروب الجيل الرابع بكل مميزاتها المثال الاقرب للتطبيق، فالدولة ممثلة بالكيان الصهيوني المغتصب تقابلها قوى اللادولة والتي استطاعت احراجها وجعلها تجبر بشكل او باخر على الرضوخ لمشيئتها مغيرة بذلك كل

ملامح المواجهات السابقة مؤكدة على انا ما حصل في عام 2006 من متغيرات على المستوى الاستراتيجي في طبيعة الصراع القائم بين الكيان المغتصب والفلسطينيين والى جانبهم فصائل المقاومة الإسلامية التي تمثل خط الممانعة قد ادى الى ايجاد حالة من توازن القوى غير المسبوق مما جعل الكيان الصهيوني في وضع صعب حيث إن استمرار هذا التوازن مرهون برفع قدرات المقاومة أي إنّ احتمالية أن تميل الكفة لصالح القوى الفلسطينية والقوه الساندة لها باتت مسالة وقت.

إن المحصلة النهائية لهذه المنازلة اثبتت وبما لا يتقبل الشك إنّ كل ثوابت الاستراتيجية و العملياتية التي اعتبرها العدو غير قابلة للتغيير باتت في متاهات الماضي وإن حرب غير متكافئة وذات طبيعة متغيرة وقلقة اذا ما اتسعت رقعتها في المستقبل فإنّ مستقبل الكيان الصهيوني سيكون في مهب الريح خاصة وإنّ الحديث عن أرقام الصواريخ التي اطلقت على عمق الكيان الصهيوني في فترة زمنية لم تتجاوز الاحد عشر يوماً تنبئ بان هنالك عشرات اضعاف هذا العدد من الصواريخ وبمديات وقدرات تدميرية أبعد وأقوى، وإنّ ترسانة الأسلحة الفلسطينية لم تعد تقتصر على البندقية والقاذفة بل إنّ تقنيات الحرب الحديثة بطابعها اللامتماثل قد دخلت بقوة في ميدان المواجهة ومنها الغواصات والطائرات المسيرة والصواريخ ذات المديات العملياتية.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في إنها تحاول أنْ تمنح المتلقي العربي بعض مما حاولت القوى المساندة للكيان الصهيوني طمسه في هذه المنازلة، وذلك من خلال الربط بين حروب الجيل الرابع والخامس من الحروب والحرب اللامتماثلة ومدى انطباق ما حصل من مجريات الاحداث على الساحة الفلسطينية مع ما جرى التخطيط له من قبل الكيان الصهيوني لا يقاف حالة التداعي التي بدأت بوادرها بالتصاعد في صيف عام 2006.

إشكالية الدراسة: المتتبع للقضية الفلسطينية أنها ومنذ أنْ باشر بالترويج لصفقة القرن وهي تعاني من مخاض عسير خاصة وإنّ عملية الهرولة الخليجية وراء التطبيع مع الكيان الصهيوني بنسخته الترامبية قد أوحى للكثيرين من إنّ القضية الفلسطينية باتت جزءاً من الماضي وإنّ قراءة جديدة للواقع الاقليمي لا تمنح الفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم، هنا تصاعدت الإشكاليات التي ما انفكت تلقي بظلالها على عموم حركة التاريخ في منطقة تغلي على سطح صفيح ساخن، لذلك جاءت منازلة سيف القدس لتعيد الامور الى نصابها وتعاود القضية الفلسطينية طرح نفسها بقوه كقضيه لا تقبل على الاطلاق بأنصاف الحلول.

فرضية الدراسة: تفترض الدراسة إنّ حرباً لا متماثلة وفق ما تميزت به الحروب الجيل الرابع قد احدثت شرخاً كبيراً في بناء نظرية الأمن الاسرائيلي، وإنّ ما حصل خلال الايام الاحد عشر لا يمكن فهمها وأدراك ما تمخضت عنه دون أن تعي طبيعة المتغيرات الجوهرية الحاصلة في حالة التوازن القائمة بالوقت الحاضر والتي افترضت الدراسة إنّها تكاد تكون متعادلة الا إنّها ستكون ميالة مستقبلا الى جانب السلاح الفلسطيني وقدرات فصائل المقاومة الإسلامية .

محاور الدراسة: جرى التركيز في بادئ الامر على الربط بين مفهوم حروب الجيل الرابع والخامس والحروب اللامتماثلة وبين منازلة سيف القدس وتحديد نقاط التلاقي بينهما. بعدها جرى البحث المستفيض عن طبيعة المواجهة وما افرزته من مستجدات مع التركيز على حرب الانفاق باعتبارها أحد أهم السمات التي تميزت بها هذه المواجهة، في ذات الوقت فإنّ قراءة متأنية لطبيعة العلاقة وأواصر التقارب من حيث النتائج بين حرب عام 2006 التي دارت رحاها في الجنوب اللبناني بين الكيان الصهيوني وفصائل المقاومة الإسلامية وبين ما حصل في منازلة الايام الأخيرة من رمضان من حيث طبيعة الأدوات المستخدمة والنتائج، في ذات الوقت جرى التركيز على ما آلت اليه هذه المواجهة ومدى المتغيرات المحتملة في البناء الاستراتيجي للقوة الصهيونية مع التركيز على وجهات نظر الصهاينة في نتائج هذه المنازلة.

المبحث الأول: الحروب اللامتماثلة وتطبيقاتها في سيف القدس

سيف القدس والحرب اللا متماثلة

فرضت العقود الأخيرة من القرن العشرين تحديات كبيرة ومتغيرات جذرية في عموم حركة المجتمع كما إنّها وفي ذات الوقت ادّتْ الى تغيرات جذرية في الكثير من الثوابت السائدة فلم تعد تلك الثوابت ممكن التطبيق بل إنّ المستجدات التي أحدثتها حركة تاريخ بعد الغزو السوفييتي الافغانستان وتصاعد حمى الحركات الراديكالية المتشددة المتلبسة بلباس الديني. فضلاً عن التصاعد غير المسبوق لطبيعة المواجهات بين قوة الدولة بمفهومها السائد وبين القوى الأخرى غير المنضوية تحت نطاق الدولة، كل تلك المتغيرات ادّتْ الى بروز شكل جديد من الحروب يندرج ضمن إطار الجيل الرابع للحروب ويتمثل بالحرب اللامتماثلة.

مفهوم الحرب اللامتماثلة غطى مساحات واسعة من الادبيات العسكرية

مفهوم الحرب اللامتماثلة غطى مساحات واسعة من الادبيات العسكرية فالكثير من الباحثين يميلون الى عدم اطلاق هذه التسمية على الحروب السائدة بين الدولة

وقوى اللادولة بل يذهبون الى مصطلح الحرب الهجينة التي يجدونها أكثر انطباقا في حين إنّ البعض الآخر يرى في مفاهيم أجيال الحروب بتسلسلها التاريخي واعطاء سمة حروب الجيل الرابع على هذه الحروب هو الأقرب الى الاسس العلمية في الكتابات العسكرية لمنح هذا النوع من الحرب سمته الأكاديمية، لذلك فإنّ تسمية حروب الجيل الرابع نجدها اكثر شيوعا وانطباقا ومع ذلك فإنّ الحرب اللامتماثله نجدها هي المتسيدة والأكثر شيوعا في وصف مثل هذه الحروب.

الحرب هي صراع بين طرفين او اكثر يكون هدف أحد الأطراف تدمير الطرف الآخر أو الأطراف الاخرى والقضاء عليها [1] وتتعدد اشكال وانواع الحرب بتقدم الحضارة والتطورات التقنية وكلما تقدمت البشرية نجد إنّ انماطاً غير مألوفة من الحروب تبرز الى الساحة، ورغم ذلك فإنّ الحروب قد تأخذ شكلا سياسيا واقتصاديا وإعلاميا او فكريا، الا إنّ اشدها فتكا وتأثيرا هي الحروب العسكرية التي تستخدم فيها القوة التقليدية بين الأطراف المتصارعة، والحرب الهجينة والحرب اللامتماثلة هي أساس نتائج العصر الحديث كونها أتخذت شكلا مغايرا لما هو سائد في الحروب رغم إنّ هنالك تماثل بينها وبين الحرب التي شهدتها البشرية والتي كان طرفها الأول الدولة أو السلطة وطرفها الثاني الثوار أو المضطهدين أو العبيد أو المسلوبة حقوقهم. أخذت أجيال الحروب الكثير من البحث والاستقصاء وصنفت الحروب على أساس طبيعتها الى خمسة أجيال وما يهمنا هنا هو الجيلين الرابع والخامس فكلاهما يشتركان في إنّ الحروب اللامتماثلة تشكل الجزء الأساس لهذه الاجيال، بأعتبار إنّ طبيعة المواجهة غالبا ما تكون بين طرفين غير متجانسين.

والحرب اللامتماثلة هي أساس نتائج العصر الحديث كونها أتخذت شكلا مغايرا لما هو سائد في الحروب

تشكل الدولة بكل مقوماتها الطرف الأول في حين يكون العدو المقابل عبارة عن قوة اللادولة وقد يأخذ اشكال مختلفة منها خلايا مخفية أو مجموعة عصابات أو مدن منتفضة وتميل مثل هذه الحروب في الغالب الى اللامركزية حيث غالبا ما تنتفي الحدود بين السياسة والحرب وبين العسكر والمدنيين وهنا مكمن الخطر ففي الغالب تفقد الدولة هيمنتها الكاملة على مجريات الحروب. وما يميز الحروب اللامتماثلة هو إنّ حركات التمرد التي تقود تلك الحروب أو الأحتجاجات الشعبية قادرة في الغالب على هزيمة الدولة من الداخل ويمكنها ضرب البناء المؤسساتي للدولة في فواعله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، كما إنّها قادرة على مهاجمة عقول صناع القرار وهزيمة ارادتهم السياسية. [2]

(1) د. مثنى مشعان المزروعي_ استراتيجية الحرب اللامتماثلة ومديات تطبيقاتها الجغرافية والسياسية في المنطقة العربية، المستنصرية للدراسات العربية والدولية العدد 71 لسنة 2020 الصادرة في الجامعة المستنصرية - بغداد العراق ص 129

(2) . د. مثنى مشعان المزروعي – مصدر سابق ذكرة ص 131

بالعودة الى جيش الكيان الصهيوني فإنّ هنالك نوعاً من الترابط بين ادراك القيادات العسكرية الصهيونية لمفهوم حروب الجيل الرابع وفهمها للحرب اللامتماثلة وتطبيقاتها في مجال الإدارة اللامركزية للمعارك، فالجيش الصهيوني لا يعتمد اللامركزية كمبدأ من مبادى الحرب والمطابق لمبدأ (ابداع القادة والآمرين الاحداث) بل يعد ذلك اسلوب من اساليب السيطرة التي تمنح الى المستويات الدنيا [3]. لذلك نجد إنّ الكيان الصهيوني وجيشه قد تعامل مع التصعيد العسكري بخلفية الأفكار التي كانت السائدة بعد عام 2006 والتي لم تفلح في ايقاف حالة التداعي الأمني بل خلقت الكثير من الثغرات في الجدار الأمني الصهيوني.

(3) . فاروق نبيل – انت جيش عدوك _حروب الجيل الرابع _دار النهضة مصر القاهرة 2016 ص 21

إنّ الحرب اللامتماثلة تستهدف بالدرجة الأساس الدولة وأفشال مقومات قوة الدولة في مواجهة اللادولة و هي الأساس الذي تبنى عليها حروب الجيلين الرابع والخامس، ويعد هذا الأسلوب من الحرب غير النمطية التي تستغل نقاط التناقض والاختلاف وتوزيع نسب السكان وتركيبتهم الاثنية والأزمات في العلاقات والاشكالات القائمة داخل الدولة وذلك لتضخيمها وتكوين حالة من أنعدام التوازن بين الأطراف المختلفة دينيا وثقافيا وسياسيا بما يؤدي الى خلق حالة فوضى مدمرة وهو جزء مما بشرت به مستشارة الأمن القومي الأمريكية كوندوليزا رايس في حينها عن الفوضى الخلاقة[4]، ومن هنا يجد البعض من المحللين إنّ الحرب اللامتماثلة يمكن أن تتصف وبما يأتي .

الكيان الصهيوني وجيشه قد تعامل مع التصعيد العسكري بخلفية الأفكار التي كانت سائدة بعد عام 2006

(4). المصدر نفسه ص 23

أ. دعم العنف بأشكال متعددة وصولا الى الإرهاب.

ب. خلق قاعدة مناهضة للدولة او قد تعمل في دول متعددة.

ج. حرب نفسية متطورة للغاية من خلال الاستغلال الامثل للأعلام والتلاعب النفسي.

د. استخدام كل وسائل الضغوط العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هـ. استخدام تكنيكيات وتعبية غير مألوفة تتطابق في بعض اوجهها مع حروب العصابات والتمرد.

من هنا فإنّ الحرب اللامتماثلة هي حرب تحددها التباينات الكبيرة بين المقاتلين في القوة العسكرية الكلية وفي طريقة تنظيم القوة العسكرية وتوظيفها على حد سواء [5]. وكانت الحرب اللامتماثلة عنصرا رئيسيا من الصراع عبر التاريخ الممتد من الحملة الفاشلة التي شنها قادة المتمردين من شعوب الغال ضد جيوش يوليوس قيصر، وصولا إلى الحملات الأكثر نجاحاً التي شنها الشيوعيون الفيتناميون ضد

(5). جمال سند السويدي واخرون – الحرب المستقبلية في القرن الحادي والعشرون – مركز الامارات العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ط 1 2014 ص 25

الفرنسيين والأمريكيين، وتعد العقيدة النووية الأمريكية خلال الحرب الباردة التي سعت إلى استخدام مزاياها التكنولوجية والصناعية للدفاع عن أوروبا الغربية من جيوش الاتحاد السوفيتي و حلف وارسو ذات الأعداد الضخمة من المجندين الإلزاميين مثالا على الحرب اللامتماثلة، على الرغم من أن تلك الحرب ولحسن الحظ لم تدر رحاها أبدا[6].

(6) . المصدر نفسه ص 27

وفي مطلع القرن الحادي والعشرين، كان التركيز الأكبر في الحرب اللامتماثلة على أشكال محددة من حروب العصابات والتمرد. وكانت الحروب الأمريكية في أفغانستان والعراق، إلى جانب الحروب الإسرائيلية ضد "حزب الله" وحركة "حماس"، من الأمثلة البارزة على هذه الأنماط من الحروب اللامتماثلة. ولكن هذه الأنماط توزعت على مستوى العالم، حيث تندرج في فئاتها الصراعات الجارية في سوريا، ومالي، والقوقاز، وميانمار، وباكستان، والهند، وكولومبيا.

مع أن هذا التركيز على الحرب اللامتماثلة مثل حرب العصابات والتمرد في المقام الأول، هو أمر مفهوم نظرا إلى الأحداث التي وقعت في مطلع القرن الحادي والعشرين، فإنه يمكن أن يؤدي إلى قصر نظر حيال الحرب اللامتماثلة في مفهومها الأعم، وقد تسبب هذا في قيام الكثير من الجيوش الحديثة - ولاسيما الجيش الأمريكي - بالنظر إلى الحرب اللامتماثلة بطريقة سلبية، بحيث يعدها في الأساس تحديا لتفوقه العسكري. ومن هنا نجد إنّ تحديد أهم ملامح الحرب اللامتماثلة بما يلي[7]:

(7) . حسن سلمان خليفة البيضاني - الامن بين مكافحة الارهاب والحرب الحديثة – دار للنشر ، بغداد ط1 2020ص 212.

1. ليس هنالك ميدان يتقابل فيه طرفي القتال امام بعضهم (وجهاً لوجه) أو بأساليب المناورة بل غالبا ما يكون احد الاطراف هلامياً في الظهور والاختفاء .
2. عدم تماثل الأسلحة والمعدات المستخدمة من قبل طرفي القتال ورغم اختلاف درجات القوة بين الطرفين الا إنّ امتلاك طرف لأسلحة ومعدات اقوى لا يعني على الاطلاق تحقيق التفوق بل ان مبدأ المبادأة والمتمثل بـ (أسلوب الاستخدام واختيار التوقيت والمكان)هما من يحدد نتيجة المواجهة.
3. غالبا ما تفتقد الاحتمالات القائمة بين الفعل ورد الفعل لما يجري في ساحة المعركة بل إنّ أساليب الانسلال والتملص والاختفاء هي السائدة في مثل هذه المواجهات.
4. فعل السلاح وامتلاكه قد يكون غالباً خارج حسابات المنطق والتصور كونه لا يمثل شيئاً مالم يقترن بتطبيق مبادي الحرب وأكثرها أهمية تحشيد الجهد وسرعة وقابلية الحركة وعنصر المفاجأة وجميعها ذات أهمية استثنائية كونها

تمنح الحروب من هذا النوع طيفاً أوسع للمناورة والمعالجة وتحطيم إرادة العدو المقابل على القتال كما انها تجنب المفاجئة غير المتوقعة.

5. التنبؤ بهذا النوع من الحروب أمر في غاية الصعوبة كونه غير مقيد بمذاهب عسكرية محدودة أو مصنفة كما في الحروب التقليدية، وانما يعتمد بالدرجة الأساس على التقاط ما يرد من العدو عن طرق شتى بضمنها الصدفة ليجري دراستها بعناية محولا ما فيها من خطوط عامة لخطط محتملة او مؤجلة او قائمة .
6. هذا النوع من الحروب جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة والمجازفة، كون الخسائر بالنسبة للطرفين في الحالتين واحدة، ومن ثم فإنّ اعلى المخاطر تتساوى عنده مع اقلها لذلك فان استعداده لأقصى مخاطرة يجعل ما لا يجوز التفكير فيه او غير المتوقع على الاطلاق واردا كما يجعله ممكنا حتى ولو كان بالمقاييس الطبيعية من المستحيلات.
7. تتميز هذه الحروب بكونها مزيجاً من عاملين أساسيين هما العامل المادي والعامل النفسي وهنا تكمن الخطورة حيث غالبا ما تتحكم العمليات النفسية قبل العمليات القتالية بحسم نتيجة هذا النوع من الحروب.
8. في الحروب اللا متماثلة تكون للمعنويات الأهمية الأكبر في تحديد نتائج الصراع لذلك نجد ان العدد المقابل غالبا ما يعتمد على الروح المعنوية اكثر بكثير من اعتماده على المزايا التي يقدمها له التسليح والتجهيز والتدريب .
9. الإرادة القوية والتنظيم الجيد والصبر والمراقبة الدقيقة تعد عناصر حاسمة في مثل هذه الحروب اذ غالباً ما تكون المواجهة ليست ناجمة عن فعل ورد فعل بمقدار ما تكون مواجهة غير متوقعة مكانا وزمانا واسلوبا.
10. التخطيط لها لا يأخذ منحىً تفصيلياً بل تعتمد الخطوط العامة للخطط ويترك للأمرين بالمستويات الدنيا اتخاذ المسالك الملائمة سواءً للمواجهة او للتصعيد.
11. الطرف الأساسي فيها هم السكان المحليون ففي الوقت الذي يحاول أحد طرفي الصراع استمالتهم واستغلالهم كدروع بشرية يحاول الطرف الثاني أن يضمن اقل ما يمكن من الخسائر بينهم حتى على حساب الخسائر المحتملة بأفراده .
12. تتميز بطول فترة المواجهة أي إنّ تحديد سقف زمني لنهايتها قد لا يكون ممكناً او مجدياً بل إنّ فترات خوضها تشهد استطالة غير مبررة ناجمة عن التحسب العالي المستوى لدى طرفي الصراع .

13. الميزة الأكثر ظهوراً هي انها تدار في جبهات متعددة ولكن بأثر مختلف ففي الوقت الذي تتصاعد حدتها في مكان او جهة ما نجدها تنخفض الى ادنى مستوى في مكان او جهة أخرى ولكن هذا الانخفاض غير محدد بسقف زمني اذ يحتمل ان تتصاعد بذات الشدة في كلا المكانين او في أماكن متعددة .
14. غالباً ما يصار الى اعتماد الوقفات التعبوية اثناء العمليات التعبوية اثناء العمليات خاصة بالنسبة للجيش النظامي الذي يبتغي من تلك الوقفات إيجاد الحلول للمعاضل القتالية التي تبرز خاصة عندما يعتمد الطرف غير النظامي أساليب غير مألوفة تتطلب إيجاد حلول لها .
15. رغم ان التقنيات الحديثة غالباً ما تكون حاضرة بقوة في هذه الحروب الا انه وفي ذات الوقت قد يلجأ الطرف غير النظامي الى أساليب مختلفة وغير متوقعة في استخدام القوة الى الحد الذي يصعب معالجتها ليس من باب صعوبة المعالجة بل إنّ عنصر المفاجئة سيكون حاضراً بقوة .
16. من الملامح والخصائص الأخرى لهذه الحروب ان التحالفات بأشكالها المختلفة يكون لها الأثر الأكبر في احداث التغير على مجمل مسارات المعارك اوالمنازلات التي تجري خلالها والسبب في ذلك كون هذا النوع من الحروب عابراً للحدود ولذلك فأن إمكانيات الدولة بشكلها التقليدي لن تكون قادرة على كبح جماح العدو المقابل في كثير من الأحيان .

التحالفات بأشكالها المختلفة يكون لها الأثر الأكبر في احداث التغير على مجمل مسارات المعارك

17. فيما يتعلق بالتحالفات ايضاً فأن الجانب المقابل للجيوش النظامية والمتمثل بالعناصر الإرهابية والمتمردة او التي أعلنت العصيان قد تستمد قوتها في بادئ الامر من تحالفات انية تخالف توجهاتها العامة الا انها ذات أهمية في تثبيت استقرارها وانتشارها وتمددها في المراحل الأولية من الصراع .
18. من خصائص حروب الجيل الرابع هو بروز دور الاعلام المرئي و وسائل التواصل الاجتماعي كسلاح ذو تأثير بارز لأحداث فعل الصدمة والتأثير باستخدام التقنيات العالية المستوى للتحكم في مشاعر المواطنين والمقاتلين في الجيوش النظامية على حد السواء من اجل بث الرعب واحداث حالة من تردي المعنويات و وصولاً الى خلق حالة من الانهيار المعنوي التام .

من خصائص حروب الجيل الرابع هو بروز دور الاعلام المرئي و وسائل التواصل الاجتماعي كسلاح ذو تأثير بارز

19. المناطق المادية تشكل حيزاً تعبوياً و عملياتياً بدأ بالاتساع ونعني بذلك ان مناطق اللا سيطرة لطرفي النزاع ستكون هي الغالبة فلا سيطرة مطلقة على

كل المناطق التي يجري فيها النزاع بل ان تلك المناطق القلقة والرخوة تكون هي الغالبة والتي لا تفرض بها السيطرة لأي من الطرفين وقد تحاول القطعات النظامية قدر الإمكان فرض السيطرة عليها بوسائل مختلفة الا ان الأساليب غير التقليدية التي يتخذها الطرف غير النظامي تجعل من الصعب فرض الهيمنة الكامنه عليها .

20. يؤدي المجال الجوي والسيطرة الجوية دوراً حاسماً في إعطاء خاصية مميزة في حروب الجيل الرابع للطرف الذي يمتلك تقنيات الهيمنة الجوية الا إنّ الطرف الآخر قد يكون قادراً على احداث الخرق بوسائل لا تعدو طائرات مسيرة ذات كلفة منخفضة او غيرها من الوسائل مما يرفع كلفة فرض السيطرة الجوية في مثل هذه الحروب .

لغرض تبيان مدى انطباق مفهوم الحرب اللامتماثلة مع الحرب التي دارت بين الكيان الصهيوني وقوى المقاومة الفلسطينية ابتداء من حرب صيف عام 2006 بين فصائل المقاومة الإسلامية الكيان الصهيوني[8] ومن أواسط أيار 2021 حيث المواجهة الأخيرة ، نبين فيما يلي اهم النقاط التي تؤكد بان هذه المواجهة العسكرية تندرج في إطار الحروب اللامتماثلة:

(8) حسن سلامة ، حزب الله في العقل الإسرائيلي ، دراسة اكاديمية، مركز الاستشارات والبحوث ، ط1، بيروت ، 2006 ص 54

اولا. ان هنالك اختلاف جذري في امتلاك مقومات القوة بين طرفي النزاع.

ثانيا. الوسائل المستخدمة في الصراع مختلفة جذريا بين الطرفين من حيث المستوى التقني والقدرات **التدميرية**

ثالثا. طبيعة الحرب او المواجهة يغلب عليها طابع المفاجئة خاصة من جهة قوى المقاومة الفلسطينية مما أفقد الجانب الصهيوني قدرته في درء الخطر او ايجاد وسائل للمقاومة.

رابعا. الكيان الصهيوني تعامل مع الحالة الفلسطينية على اساس الند للند في الوقت الذي لم يكن هنالك تعادل في موازين القوى مما ادى بالكيان الصهيوني الى استخدام القوة المفرطة دون تحقيق نتائج ايجابية تذكر.

خامسا. الأساليب البدائية الممزوجة بعناصر تقنية متطورة والتي استخدمت من قبل فصائل المقاومة الفلسطينية طيلة الموجه احدثت شرخا كبيرا في قدرات الكيان الصهيوني الاستخبارية مما أفقد هذا الجهاز والذي يعتبر صمام امان الكيان الصهيوني الكثير من قدراته.

سادسا. حاله المواجهة ورغم قصرها ونتيجة اللاتماثل في قدرات الطرفين المتحاربين ادت الى أن يبحث الكيان الصهيوني عن مخرج سريع لإيقاف حالة

التداعي في حين إنّ قوى المقاومة ورغم الخسائر المادية استطاعت الاحتفاظ بقدرتها لمواجهات مستقبلية مرتقبة هي التي تحدد مكانها وتوقيت حصولها .

سابعا. لم يتمكن الكيان الصهيوني من استغلال ترسانته الحربية ليس خشية تصاعد ردود الفعل والراي العام العالمي بل إنّ طبيعة المواجهة فرضت تحدياتها على طبيعة القدرات العسكرية التي يمكن استخدامها.

الدوافع المباشرة للتصعيد

بدأت الازمة بالتصاعد يوم 6 مايس 2021 نتيجة قرار المحكمة الإسرائيلية العليا والقاضي بإخلاء سبعة مساكن تسكنها عائلات فلسطينية في حي الشيخ جراح في الجانب الشرقي من البلدة القديمة لغرض اسكان مستوطنين اسرائيليين. تبع ذلك قرار آخر أكثر استفزازاً تمثل في اغلاق الحكومة الصهيونية لمدخل باب العمود في القدس، ولم تكتفِ الشرطة الصهيونية بذلك فقد تفجرت الاحداث مساء يوم الجمعة (جمعة وداع رمضان) في 7 مايس 2021 الموافق 25 رمضان 1442 بعدما اقتحم الالاف من جنود الشرطة الإسرائيلية في عملية استفزازية باحات المسجد الاقصى واعتدوا بالهروات والغاز المسيل للدموع والإطلاقات المطاطية على المصلين مما ادى الى اصابه 250 مدنياً فلسطينياً في المسجد الاقصى وباب العامود الشيخ جراح.

بدأت الازمة بالتصاعد يوم 6 مايس 2021 نتيجة قرار المحكمة الإسرائيلية العليا

لم تتوقف الامور عند هذا الحد بل وقعت مواجهة عنيفة صباح يوم الاثنين 10مايس الموافق 28 رمضان بعد أنْ عاود افراد الشرطة الإسرائيلية مهاجمة المسجد الاقصى مما أسفر عن اصابة 231 مدنياً فلسطينياً كانت اصابات سبعة منهم خطرة للغاية كما تعرض المسعفون والصحفيون المتواجدون في مكان الحادث الى اصابات خطيرة سواء في داخل المسجد او في محيط المدينة القديمة. على إثر ذلك اصدرت كتائب عز الدين القسام - الجناح العسكري لحركه حماس - في الساعة الرابعة وخمسة واربعون دقيقة من عصر نفس اليوم بيانا قالت فيه إنّ قيادة المقاومة تمهل اسرائيل حتى الساعة السادسة مساءً لسحب جنودها من المسجد الاقصى وأطلق سراحه السبعة المعتقلين.[9]

(9) . متابعة إخبارية ، قناة ار تي الروسية يوم 9 أيار 2021

التصعيد العسكري

بالساعة السادسة والدقيقة الرابعة من نفس اليوم اطلقت المقاومة الفلسطينية اول رشقة صواريخ من قطاع غزه باتجاه المستوطنات الفلسطينية معلنة انتهاء المهلة

التي حددتها قيادة المقاومة. لم يتوقف التصعيد العسكري عند هذا الحد بل تواصلت الرشقات بالصواريخ تجاه المدن الصهيونية في الاراضي المحتلة، رافق كل ذلك تصاعد حاد في اعمال العنف ابتدأت من مدينة اللد حيث فرض منع التجوال فيها بعد استشهاد شاب فلسطيني على يد مسلح اسرائيلي داخل ما يطلق على الخط الأخطر في حين اصيب الكثيرون بجروح ، في الساعة التاسعة مساء يوم 12مايس هاجم متطرفون اسرائيليون عدداً من الفلسطينيين في مدن الشمال الفلسطيني منها طبريا وحيفا و اللد ويافا واستباحوا المحلات التجارية وسط حماية القوات الصهيونية لهم، في يوم 13 آيار مع استمرار اطلاق الصواريخ من غزه باتجاه العمق الصهيوني اطلقت ثلاثة صواريخ من مخيم الرشيدية للاجئين الفلسطينيين في لبنان عبر الحدود اللبنانية مستهدفة منصات بحريه في البحر المتوسط، تكرر اطلاق الصواريخ من الاراضي اللبنانية باتجاه العمق الاسرائيلي و كان أخرها يوم 19 مايس، في حين شهدت الحدود السورية او عملية اطلاق صواريخ باتجاه الاراضي المحتلة يوم 15 ايار رغم عدم اعلان أي جهة مسؤوليتها عن تلك الصواريخ [10].

(10) . تقرير متلفز من قناة الجزيرة الإخبارية يوم 20 اب 2021

التصعيد العسكري الاكثر خطورة كان يوم 13 مايس حينما سقطت العشرات من الصواريخ على العاصمة الصهيونية تل ابيب وعلى إثر ذلك قامت العديد من شركات الطيران بتعليق رحلاتها الى مطار (بن غوريون) في اللد فيما قامت السلطات الصهيونية بإلغاء او تحويل الرحلات الجوية الاخرى الى مطارات دول مجاورة كقبرص واليونان او الى مطار (رامون) قرب ايلات وهذه هي المرة الاولى التي تستخدم فيها اسرائيل هذا المطار كبديل عن مطار (بن غوريون).

التصعيد العسكري الاكثر خطورة كان يوم 13 مايس حينما سقطت العشرات من الصواريخ على العاصمة الصهيونية تل ابيب

الاسلحة المستحدثة

أظهرت الفصائل الفلسطينية خلال معركة سيف القدس، امكانيات وقدرات عالية فاجأت الاحتلال الإسرائيلي، الذي كان يستبعد أن تنفذ المقاومة تهديداتها بالرد على الانتهاكات الإسرائيلية في المسجد الأقصى والقدس المحتلة، ونجحت في تهشيم صورة جيش الاحتلال، وعلى الرغم من الدمار الذي خلفه الاحتلال في قطاع غزة، الا أنه فشل فشلا ذريعا أمام المقاومة ولم يتمكن من « إيجاد صورة للنصر».ففي المعركة الأخيرة بين الاحتلال والمقاومة، أطلقت المقاومة من قطاع غزة أكثر من 4300 صاروخ بمختلف المديات التي وصل بعضها إلى مناطق في شمال فلسطين المحتلة لأول مرة، والبعض منها استهدف قلب فلسطين حيث

العاصمة تل ابيب.

أعلنت المقاومة خلال معركة سيف القدس، عن إدخالها أسلحة جديدة للخدمة، كان أبرزها صاروخ عياش 240 الذي يصل مداه إلى 250 كليو متر والذي تم إطلاقه للمرة الأولى باتجاه مطار رامون الذي استخدمته «إسرائيل» كمطار احتياط بعد تعطيل مطار» بن غوريون « نتيجة الصواريخ على وسط فلسطين المحتلة، لتشل بذلك حركة الطيران في مطارات دولة الاحتلال بالكامل.

وكشفت المقاومة الفلسطينية، خلال المعركة الأخيرة، عن استخدام طائرات مسيرة جديدة من طراز « شهاب محلية الصنع»، استهدفت من خلالها منصات الغاز التابعة للاحتلال في عرض البحر قبالة شواطئ ساحل شمال غزة، وقصفت حشودا عسكرية على تخوم القطاع. وقد انجزت هذه الطائرات الكثير من المهام منها تصوير فيديوي يظهر انسحاب جنود الاحتلال من المنطقة القريبة من الخط الفاصل بين قطاع غزة والنقب في الوقت الذي أعلن فيه الاحتلال عن استعداده للدخول البري للقطاع، وذلك بعد عمليات عدة استهدفت الآليات العسكرية الصهيونية بصواريخ موجهة (كورنيت) من الجيل المصنع في جمهورية ايران الإسلامية.

وكشف الاحتلال الإسرائيلي، الأحد 16 مايو 2021، عن امتلاك حركة حماس غواصات خاصة بها مزودة بـ GPS وقادرة على حمل 50 كيلو غراماً من المتفجرات، استهدفت محطات الغاز الطبيعي بالبحر المتوسط. وكذلك الاهداف الاسرائيلية المتحركة في عرض البحر ومنصات تحميل الغاز في البحر المتوسط

المبحث الثاني : حرب الانفاق والعودة الميمونة

حرب الانفاق

رغم ان هذا الشكل من اشكال المعارك ليس بجديد فقد زخرت الحرب الفيتنامية الأمريكية بالكثير منها فضلاً عن الاستخدام الواسع النطاق لهذا النمط من القتال في الحرب الكمبودية في ذات الوقت الذي شهدت فيه معارك السويس عام 1956 استخدام المصريين للأنفاق كوسيلة من وسائل مقاومة الحصار الذي فرض عليها، في المواجهة الفلسطينية الصهيونية كان للأنفاق حضورا مبكرا حيث شهد عام 2006 واثناء تنفيذ الصهاينة العملية (الوهم المتبدد) اعتمدت فصائل المقاومة الفلسطينية على هذا الاسلوب ولا تزال قصة اسر الجندي (جلعاد شاليط) ماثلة امام الصهاينة لذلك نجد إنّ رئيس قسم التاريخ في جيش الاحتلال الإسرائيلية (شاؤول واي) يتحدث بالتفصيل عن معضلة الانفاق (في كتابة الحرب تحت الارضية والتحديات الهامة لقواتنا) والتي ستتحول وفق وجهة نظره الى المشكلة العملياتية الرئيسية التي

سيواجهها الصهاينة في أي حرب مع المقاومة في غزة [11].

(11) . مجدي الحلبي ، ماهو مترو حماس ولماذا تهتم به إسرائيل ،موقع ايلاف الإلكتروني ، تاريخ النشر 19 أيار 2021

حاول جيش الاحتلال الصهيوني على مدى خمسة عشر عاما من ايجاد وسائل قادره على الوقوف بوجه هذا لا سلوب الا انه وعلى مدى الخمسة عشر الماضية فشل في ايجاد الوسائل الكفيلة في الحد من تأثيرها، وبهذا الصدد لابد من الإشارة الى ان حجم الانفاق وابعادها واطوالها تصل الى اكثر من (500) كيلو متر فوقد صرح حينها رئيس المكتب السياسي لحركه حماس (اسماعيل هنية) ان غزه صنعت انفاق للمقاومة ضعف انفاق فيتنام والتي يفخر الفيتناميين وعلى مدى حربهم مع الامريكان قدم تمكنوا من حفر 270 كم في حين ان المقاتلين الفلسطينيين قد وصلوا الى قرابة ضعف هذه الاطوال على مدى مواجهتهم مع الكيان الصهيوني.

اعتمدت فصائل المقاومة على شبكة الانفاق للتغلب على أصغر مساحة القطاع التي تشكل نقطه ضعف بالنسبة للقطعات المدافعة مما يتطلب اضافه مساحات أكبر للدفاع تكون بمنأى عن الأسلحة المباشرة للعدو، ورغم بساطة الاستخدام التعبوي ولعملياتي لهذه الانفاق الانه يمكن ان تقسم وفق مبادئ استخدامها وعلى ضوء تجربه معارك سيف القدس الى مايلي [12]:

(12) . المصدر نفسه

اولا. إنفاق استراتيجية

ثانيا. الانفاق القتالية (الهجومية والدفاعية).

ثالثا. إنفاق المدافعين والصواريخ.

رابعا. إنفاق الامداد والاتصالات.

خامسا. إنفاق ضبط النيران (السيطرة عل النيران)

سادسا. إنفاق القيادة والسيطرة.

في ذات الوقت فان هنالك قسم اخر من الانفاق والتي يطلق عليها انفاق الوصلات الداخلية وغالبا ما تكون قصيرة المسافة وتستخدم في الغالب الخطوط الخلفية للمقاومة او للربط بين مناطق قريبة بعيدا عن اعين الرصد و الطرق العامة والفرعية والشوارع ويتلخص هدف اقامتها بأسناد وتعزيز قوات المقاومة في مجال المناورة التعبوية والانتقال والتمركز او اعادة التمركز وكذلك لمتابعة مجريات المعارك والتجربة الميدانية لهذه الانفاق اثبتت نجاحها في العام 2006 وحتى عام المواجهة الأخيرة في ربيع عام 2021 استخدمت الانفاق بشكل واسع النطاق ويمكن أنْ يعزو سبب انسحاب القوات الصهيونية عام 2005 من غزه هو فشلها الذريع في ايجاد حلول ناجحة لمواجهه

سبب انسحاب القوات الصهيونية عام 2005 من غزه هو فشلها الذريع في ايجاد حلول ناجحة لمواجهه حرب الانفاق

حرب الانفاق ، وهنا لا بد من التذكير بان التجربة الناجحة لحزب الله في جنوب لبنان انعكست ايجابا على اداء القائمين في هذه الانفاق من خلال تبادل الخبرات وتلافي الجوانب السلبية في اقامتها.

الاستراتيجية الصهيونية لمواجهه حرب الانفاق

حين تولى (افيف كوخافي) قيادة اركان الجيش الصهيوني عمد مباشرة الى الغاء استراتيجية سلفه (غادي ايزنكوت) في مواجهة المقاومة والتي يطلق عليها (خطة جدعون) و كانت تلك الخطة تركز على الحرب السريعة الخاطفة والحاسمة واستبدالها بخطة جديدة والتي باتت تعرف باسم (تنوفا) وتعني الزخم باللغة العبرية، الخطة الجديدة وضعت من قبل القيادة الصهيونية لكي تتلائم مع التحديات العسكرية التي واجهها الجيش الصهيوني، وهي خطة اخذت بالاعتبار مستجدات الحروب مع القوى المقاومة للاحتلال والتي تتمثل بالتنظيمات العسكرية لحزب الله وحركة حماس وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية، تعتمد الخطة بشكل رئيسي على الكثافة النارية المميتة بمختلف الوسائل برأ و جوا وبحرا والتي اسفرت عن تعرض المدنيين من الفلسطينيين لخسائر عالية جدا بالأرواح ، وحسب ما ورد في النتائج الأولية لتنفيذ الخطة فأنها تستطيع قتل 60 % من القوة القتالية للعدو قياسا بنسبة 25 % التي كانت تمثل الحد الاقصى لخسائر العدو في الحروب التقليدية.

البنية القتالية التحتية استهدفت هذه الخطة بأساليب مبتكرة الأن لاكثر استهدفا هي الانفاق التي يطلق عليها العدو الصهيوني من خلال الاعلام العبري (شبكة مترو حماس) باعتبارها تمثل التحدي الاكبر للقوة الصهيونية. عمل العدو الصهيوني ضمن خطته الجديدة الى تقسيم قطاع غزه الى (مربعات) جغرافية، مفترضا إنّ هنالك تحت الارض مدينة كاملة من الانفاق واعتمد في كل مرة على إطلاق سيل جارف من القذائف الموجهة على مربع محدد وفق (خطة تنوفا) المارة الذكر وهو التكتيك المشابه لعمليات التجريف في استخدام القوة الجوية والجرف والتفتيش في سلاح المدفعية وقد أطلق الكيان الصهيوني على هذه التعبئه القتالية (الحزام الناري)، لم يكتفِ العدو الصهيوني بالأساليب التقليدية بل انه شن وعلى مدار الايام (الاحد عشرً) مئات الغارات الجوية مستخدما مئات الطائرات الحربية وقد استخدمت الطائرات الأمريكية المسلحة حديثا للكيان الصهيوني من قبل الولايات المتحدة (اف 35) على نطاق واسع، والتي تولت مهام قصف مناطق في القطاع (قطاع غزة) بصواريخ

الاكثر استهدفا هي الانفاق التي يطلق عليها العدو الصهيوني من خلال الاعلام العبري (شبكة مترو حماس)

متطورة تشمل أسلحة جـو-أرض للمحطة الخارجية ذخيرة الهجوم المباشر المشترك (JDAM)، وسلسلة قنابل بيفواي Pavewa [13] لها القدرة على اختراق اشد التحصينات الدفاعية سواء المصنوعة من الخرسانة المخلوطة بالمعدن او المصنوعة من المعدن الخالص والتي توقعت وكالات الاستخبارات الصهيونية و الأمريكية استخدامها في بنية الانفاق .،كان الهدف من هذا التكتيك هو احداث عمليات التخريب في مسارات الانفاق مما يؤدي الى غلقها وتدمير الانفاق المؤدية الى السطح مصحوباً كل ذلك باللقاء قنابل محرمة دوليا تحتوي على غازات سامة تؤدي الى حالات تسمم واختناق لكل من هم داخل الانفاق من رجال المقاومة، ورغم إنّ تلك العمليات المبرمجة قد ادت بالفعل الى حصول خسائر في صفوف المقاتلين ومنها استشهاد قائد لواء غزة القائد (باسم عيسى) وعدد أخر من قادة المقاومة الا إنّ النتائج النهائية لهذا الاسلوب التكتيكي كانت اقل بكثير مما توقعها العدو. في ذات الوقت العدو الصهيوني حاول جاهدا ايهام فصائل المقاومة بإنّ القصف المكثف الذي استهدف غزة ما هو الا مرحلة اولى لقصف تمهيدي كمقدمة الهجوم بري واسع النطاق بغية دفع عناصر المقاومة إلى اللجوء الى الانفاق وبالتالي يسهل على الجيش الصهيوني تصفيتهم من خلال غارات مكثفة، الا إنّ هذا الاسلوب من اساليب المخادعة لم تنجح وبقيت قيادات المقاومة على ثباتها وأحبطت كل محاولات العدو لجر فصائل المقاومة الى أرض القتل.

(13) . الموسوعة الحرة ، طائرة اف 35 التسليح والقدرات ، تاريخ المعاينة 20 تموز 2021

سيف القدس والاهداف الاستراتيجية

جاء التحول الأبرز في هذه الأحـداث بتدخل المقاومة في غزة واعتبارها الانتهاكات بحق المقدسات واهل القدس ومحاولات رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو على فرض سياساته على المسجد الأقصى. منذ هذه اللحظة بدء الفلسطينيون تسجيل جملة من الإنجازات على صعيد قضينهم، أهمها:

- دخول سلاح المقاومة في غزة على خط التأثير على الاحتلال في القدس، وقد يتطور ذلك في مشاهد أخرى ليشمل الاعتداءات الإسرائيلية في الضفة الغربية، وربما بحق فلسطينيي الداخل المحتل. هذه المعادلة، وبشكل مجرد، تمثل تحولا استراتيجيا تبنته المقاومة، وقد يعد بمثابة مسار نضالي جديد يعيد القضية الفلسطينية – التي حاولت صفقة القرن واتفاقيات ابراهام تصفيتها. إلى مربعها الأول وتثبيت رواية الشعب الفلسطيني التاريخية المتمثلة بأحقيته في هذه الأرض، وأن دولة الاحتلال هي مشروع إحلال لمجاميع سكانية مكان شعب له هويته وأرضه.

- الوحدة الفلسطينية النضالية في مواجهة الاحتلال في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة والداخل المحتل، شكلت بديلا عمليا لمسار «المصالحة» أو مسار» الانتخابات الفلسطينية» الذي تبنته السلطة الفلسطينية والفصائل، ومضت سنوات دون أحداث اختراق حقيقي فيه. بل إن مسار الانتخابات قد فوت على الفلسطينيين فرصة الانتفاضة في وجه صفقة القرن وخطط الضم والتطبيع، وجاءت هذه الجولة من المواجهات لتعيد للفلسطينيين اعتبارهم.

الوحدة الفلسطينية النضالية في مواجهة الاحتلال في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة والداخل المحتل

- استطاعت هذه الجولة بشموليتها في القدس وغزة والضفة والداخل، تثبيت الحق الفلسطيني في القدس وتفنيد رواية الاحتلال بأحقيته في تهويد القدس وأحيائها.
- قدمت المقاومة في غزة نموذجا قتاليا محترفا، وقدرة عالية على مواجهة العدوان الإسرائيلي والتعامل مع خطط الاحتلال، بما يحد من قدرته على اطالة أمد عدوانه ضد الفلسطينيين.
- يضاف لذلك هبة فلسطينيي الداخل المحتل التي برهنت -بما لا يدع مجالا للشك أن دولة الاحتلال أضعف مما تحاول تقديم نفسها به، وأن لدي الاحتلال خاصرة رخوة وحساسة لم تعد بمنأى عن الفعل الفلسطيني المقاوم والتأثر به.

أثبتت هذه الجولة قدرة الفلسطينيين على إسقاط مشاريع " الأسرلة

- أثبتت هذه الجولة قدرة الفلسطينيين على إسقاط مشاريع « الأسرلة « الثقافية والديمغرافية في هذه المواجهة.

انتهت معركة « سيف القدس « بتسجيل أكبر وأوضح هزيمة في تاريخ الاحتلال الإسرائيلي، إذ لم يسبق أن مني المشروع الصهيوني بمثل هذه الانتكاسة منذ العام 1948. وخلاصة المعركة أن اسرائيل تراجعت ولم تحقق أيا من أهدافها، بينما نجحت المقاومة من مكانها في غزة بحماية المسجد الأقصى والمرابطين فيه، وصد اعتداءات الاحتلال. يضاف الى ذلك ان كل ما جرى التخطيط له من قبل المحتل يبقى مجرد افكار غير قابلة للتطبيق ومنها الاستراتيجية الجديدة المعلنة (الزخم) التي فشلت فشلا ذريعا في اثناء التطبيق ولم تحقق الغالبية العظمى من اهدافها.

انتهت معركة " سيف القدس " بتسجيل أكبر وأوضح هزيمة في تاريخ الاحتلال الإسرائيلي

ثمة مشهد فلسطيني جديد كليا، وثمة معادلة مختلفة تماما عن السابق في الصراع بين الفلسطينيين والاحتلال، فقد أصبحت القدس ولأول مرة تحت وصاية فصائل المقاومة، وبات المسجد الأقصى في حمايتها، ولم يعد قطاع غزة معزولا عن

محيطه الفلسطيني، بل أصبح يتولى مهمة حماية الكل الفلسطيني. كما إنّ هنالك ما يمكن أن نطلق عليه (اعادة الوعي على المستوى الدولي) من إنّ اسرائيل ماهي الا دولة مغتصبة تحاول بشتى الوسائل فرض وجودها دون أي وجه حق، وهذا الامر ظهر جليا في فشل حركة التطبيع التي قادها الرئيس الامريكي السابق (ترامب)

أصبحت القدس ولأول مرة تحت وصاية فصائل المقاومة

ما حدث أن إسرائيل استنزفت طوال الاحد عشر يوما من حربها على غزة كل ما لديها من وسائل و إمكانات من اجل الوصول إلى شبكات الأنفاق او مخازن الأسلحة او توجيه ضربة كبيرة لحركة حماس، لكنها فشلت ومنيت بخسائر أكبر بكثير من تلك التي تكبدها الفلسطينيون، فقد اندلعت انتفاضة شاملة في كل الأرض الفلسطينية بما فيها داخل الأراضي المحتلة عام 1948، و هذا يحدث لأول مرة ، وانتفض الرأي العام العالمي ضد الاحتلال ، وفي المقابل تبين أن الاحتلال ليس لديه أي أهداف في غزة ولم يتمكن من الوصول إلى أي منها، سوى إلى النساء والأطفال والمدنيين الأبرياء ومبان تستخدمها وسائل الإعلام . تنتهي هذه المعركة والمسجد الأقصى لا يزال مغلقا امام المستوطنين الإسرائيليين وأمام قوات الاحتلال بينما أدى فيه الفلسطينيون صلاتهم واحتفلوا بانتصاراتهم وصمودهم، وهو ما يعني أن الحرب وضعت أوزارها على هذه المعادلة الجديدة، التي تفيد بأن الاعتداء على المصلين في الأقصى سياتي الرد عليه من غزة. ولأول مرة فإنه كما أن السلاح الإسرائيلي يطال كل الفلسطينيين، فصواريخ الفصائل كذلك باتت قادرة على الوصول إلى كل التجمعات الإسرائيلية. إنها معادلة جديدة بامتياز، ولم يسبق أن حدثت منذ العام 1948.

أما النتيجة الثانية المهمة التي انتهت إليها معركة "سيف القدس"، فهي أنها وحدت كل الفلسطينيين وأنهت الانقسام الداخلي عمليا، وهذا ينطبق على الضفة والقطاع وحدهما، بل وحدَت من هم داخل الخط الأخضر بمن هم خارجه، وجمعت كلمة اللاجئين الفلسطينيين في الخارج، وأعادت القضية الفلسطينية إلى واجهة الاهتمام العربي، وهذا فشل استراتيجي كبير لمشروع الاحتلال الذي يقوم على تقسيم المنطقة وتفتيت الفلسطينيين، وبدا بزرع بذور الانقسام بينهم وبين محيطهم العربي أولا ، ثم الانقسام الداخلي ثانيا ، سواء بين الفصائل او بين الضفة والقطاع . النتيجة الثالثة المهمة لهذه المعركة ، هو أن السلطة الفلسطينية غابت وتبخرت وأثبت الفلسطينيون – خاصة في الضفة الغربية - أن من الممكن تجاوزها ، وأنها ليست قدرا محتوما للحيلولة دون الاشتباك مع الاحتلال ، وما المطلوب من القيادة الفلسطينية سوى إعادة ترميم منظمة التحرير وحركة فتح والعودة للالتحام مع

الشارع ، وعدم التمترس وراء " سلطة تحت الاحتلال" قامت على أساس "التنسيق الأمني " يضاف الى ذلك ما كان نجم عن التحالف غير المعلن بين فصائل المقاومة الفلسطينية وفصائل المقاومة الاسلامية والذي منح هذا المنازلة بعدا أخر مكنها من أنْ تعيد كل حساباتها التي كانت سائدة. ثمة الكثير من النتائج والإنجازات لهذه المعركة، والمهم الآن هو البناء عليها والتعامل مع المشهد الفلسطيني الجديد على أساسها .

وحدت كل الفلسطينيين وأنهت الانقسام الداخلي عملياً

المبحث الثالث: الحرب اللا متماثلة ونظريه الأمن الصهيوني

نظرية الامن الصهيوني وتداعياتها

كثيراً ما تبجح الصهاينة بانهم وحدهم من شعوب ودول الشرق الاوسط الذين يهيمنون بالكامل على كل مقدرات أمنهم القومي وانهم ارسوا خلال عمر دولة (اسرائيل) الذي لم يتجاوز(72) عاما اكثر المرتكزات ثباتا في هذا المجال، الا إنّ الواقع يشير الى خلاف ذلك في فمنذ حرب 2006 و نظرية الأمن الصهيوني تترنح امام الضربات الموجعة والمتوالية التي اقدمت عليها فصائل المقاومة الاسلامية والفلسطينية في عدة منازل اتسمت جميعها بإنّها اجبرت العدو الصهيوني على خوض حروب لامتماثله[14] . ومن هنا يمكن أنْ نحدد إنّ ابرز السمات للمواجهة الاخيرة على المستوى الاستراتيجي بين فصائل المقاومة وبين القوة الصهيونية بمختلف مسمياتها مايلي:

(14) . امين محمد حطيط ، انهيار الردع الإسرائيلي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط1 ، 2018 ، ص 21

اولا. فقدان الكيان الصهيوني لعنصر المفاجاة التي نجحت فيها على امتداد الموجهات العربية الاسرائيلية ومنها حرب تشرين 1973 التي فقد فيها المفاجئة في بادئ الامر الى إن استعادها في معارك الجبهة السورية وعبور ثغرة الدفرسوار على الجبهة المصرية.

ثانيا. لم تستطع القوة الصهيونية رغم كل ما تمتلكه من ترسانة أسلحة ومعدات تعتبر الاحدث على مستوى العالم من أنْ تحتفظ بالمباداة_منذ عام 2006 رغم إنّها استطاعت ولفترات محدودة من تحقيق ذلك ميدانيا، الا انه وعلى الصعيد الاستراتيجي وحتى العملياتي فقدت اسرائيل امكانية استغلال هذا المبدا الهام من مبادئ الحرب.

ثالثا. احدثت المنازلة الاخيرة هزة كبير في نظريتها الامنية حيث فقدت هذه النظرية أهم عناصرها المتمثلة بما يلي:[15]

(1) الردع

(2) الحرب الاستباقية

(15) **حسين عبد الهادي ، عملية صنع قرارات الأمن القومي الإسرائيلي ، جامعة الدفاع للدراسات العسكرية ، كلية الأركان ، رسالة ماجستير في العلوم العسكرية ، 2018 ،** ص121

(3) القتال في ارض العدو

(4) التنبؤ الاستراتيجي

(5) تماسك الجبهة الداخلية.

رابعاً. استطاعت المقاومة الفلسطينية أنْ تثبت للاحتلال إنّ لا وجود لمعادلة الردع بالمستويات الثلاث (لاستراتيجي والعملياتي والتعبوي) وذلك من خلال قدرات تلك الفصائل على الاستعداد السريع للدخول بمواجهه قتالية ونقل المعركة الى أرض العدو وبالتالي افقدانه للمبادرة وعدم قدرته على استغلال قدراته في مجال الردع.

لا وجود لمعادلة الردع بالمستويات الثلاث (لاستراتيجي والعملياتي والتعبوي)

خامسا. الفشل في عجز الاحتلال عن التنبؤ بقرار المقاومة الفلسطينية في غزة من حيث توقيتات الهجوم وحجم و طبيعة القدرات المستخدمة بما في ذلك عدد الصواريخ ومدياتها، يضاف الى ذلك إنّ الاحتلال لم يتوقع أنْ يرافق كل ذلك هبة شعبية فلسطينية في مدن الداخل المحتل الذي يعتبرها الاحتلال جزءاً من جبهته الداخلية.

سادسا. عودة حرب الاستنزاف غير المتلائمة مع طبيعة المجتمع الاسرائيلي حيث قدمت فصائل المقاومة مثالاً جديداً ضمن اطار الحرب اللامتماثلة من خلال عمليات الاستنزاف التي خضع لها الكيان الصهيوني مجبرا وذلك بتعدد ساحات وميادين المواجهة وتنوع وسائل الحرب وظهور قدرات لم تكن معلومة لدى الاستخبارات الصهيونية.

أظهرت هذه الجولة أن هناك تحولات بنيوية وفكرية لدى الفلسطينيين

سابعا. السردية السياسية التي قامت عليها " معركة سيف القدس " الأخيرة في قطاع غزة ، تعد تغييرا جوهريا لقواعد الاشتباك بين الاحتلال والمقاومة الفلسطينية حيث قامت هذه السردية على أساس أن المقاومة المسلحة في غزة قررت - بشكل واضح - أن يأتي ردها على اعتداءات الاحتلال في القدس والضفة الغربية، والاستجابة لهتافات المقدسيين وأهالي الضفة القيادة المقاومة في غزة بضرورة التدخل . وقد أظهرت هذه الجولة أن هناك تحولات بنيوية وفكرية لدى الفلسطينيين، وتأثير ذلك على الشباب الفلسطيني في القدس التداعيات العسكرية لسيف القدس على الكيان الصهيوني

افرازات المواجهة العسكرية رغم قصر فترتها التي لم تتجاوز 11 يوما عن جمله من التداعيات العسكرية والأمنية التي اصابت المؤسسات العسكرية الصهيونية

بالصميم وغيرت والى الابد ما كان سائدا في الفكر الاستراتيجي العسكري من احتلال الكيان الصهيوني للمقومات القوه يجعله بعيدا كل البعد عن امكانية التراجع من مركز المنتصر الى مركز الباحث عن فرصه للخلاص من الهزيمة، ورغم ان حرب عام 2006 في جنوب لبنان والمواجهة التي حصلت حينها قد القت بظلالها وبقوه على القدرات الاستراتيجية الصهيونية وامكانياتها في مجال مواجهة الاشكال الجديدة من الحروب اللامتماثلة واجبرته القائمين على وضع الاستراتيجيات العسكرية والأمنية للبحث عن اساليب تتخطى مرحله استراتيجية (جدعون) (الحرب السريعة والحاسمة والخاطفة) المبنية على اساس (الرمح والدرع) (الطيران والدروع) لغرض واقع امني وعسكري لا يمنح القائمون على ادارة معارك المقاومة لتحقيق نصر حاسم الى مرحلة اخرى وباستراتيجيات مختلفة تماما اطلق عليها استراتيجية (تنوفا) (الزخم) والتي تركز بالدرجة الاساس على الاستخدام المفرط للقوه الذكية باستهداف مراكز الثقل الاستراتيجي والعملياتي بضربات متلاحقة وبكثافه اكثر بكثير من حاجة تلك الاهداف للنيران بغية تدميرها. إنّ من أكثر التداعيات التي سجلت في هذه المواجهة هي ذات طابع ميداني الا انها وفي ذات الوقت ذات تأثيرات عملياتي واستراتيجية.

استراتيجية (تنوفا) (الزخم) والتي تركز بالدرجة الاساس على الاستخدام المفرط للقوه الذكية

اولا. على الصعيد التقنيات التي طالما تبجح بها الكيان الصهيوني وخاصة ما طلق عليه (القبة الحديدية) فان مواجهة الاحد عشر يوم اثبتت فشل هذه المنظومة التي تصل كلفه تشغيلها في يوم واحد (88) مليون دولار. حيث اتبعت فصائل المقاومة الفلسطينية تكتيك باغت القائمون على هذه القبة من خلال إطلاق المئات من الصواريخ من اماكن مختلفة بما أفقد هذه التقنية قدرتها على المعالجة الاهداف الطائرة بأكملها ورغم ادعاء الجيش الاسرائيلي بانه قد استطاع اسقاط 90% من مجموعه الصواريخ التي أطلقت على الكيان الصهيوني والبالغة (4900) فان هذه يعني ان 500 صاروخ قد وصلت الى اهدافها داخل الاراضي المحتلة وهو عدد ليس بقليل قياسا بعدد ايام المواجهة ومساحة الارضي المحتلة.

ثانيا. استهداف اهداف بحرية كانت والى وقت قريب بمنأى عن قدرات فصائل المقاومة الفلسطينية ومنهم منصات استخراج الغاز في البحر المتوسط و محطات التحميل، والاستهداف جرى بواسطة غواصات صغيره الحجم اقرب ما تكون الى الطائرات المسيرة تحمل اكثر من 50 كيلو غرام من مواد شديده الانفجار هذه الاستهداف وبهذه الوسيلة ادى الى امرين مهمين اولهما إنّ الاقتصاد الصهيوني بات مهددا في أحد أهم مفاصله التي اعتبرها نقله نوعية في بناء اقتصاده المستقبلي

وثانيهما إنّ معالجة مثل هذه الوسائل يحتاج الى أمكانيات كبيرة وهائلة و مكلفة كون من الصعب تحديد اماكن اطلاق مثل هذه الغواصات التي يمكن أنْ تحمل بواسطة سفن ومراكب شراعية الى وسط البحر ومن ثم استخدامها.

ثالثا. غالبا ما تلقى الكيان الصهيوني ضربات صاروخية على حدودية الشمالية والجنوبية بصواريخ ذات مديات محدودة جدا وبرؤوس حربيه ذات طاقات تدميرية متدنية الا إنّ ما حصل في هذه المواجهة غير العادلة تماما إذا استخدمت الصواريخ ذات مدى يصل الى أكثر من 250 كيلومترا مما جعل كل الاراضي المحتلة وجميع المدن الصهيونية تحت مرمى هذا الصواريخ كما إنّ اساليب توجيه هذه الصواريخ وحمولتها من المواد المتفجرة هي الاخرى فاجئة والى حد كبير القائمين على الدفاع عن المدن الصهيونية.

الفشل الاستخباري الصهيوني

في تمام الساعة السادسة من مساء يوم الإثنين 10آيار 2021 ، أطلقت « كتائب القسام »ستة صواريخ باتجاه مدينة القدس المحتلة ، لتبدأ معها معركة « سيف القدس » . اختيار هذا التوقيت بالذات ، ومعه عدد الصواريخ المعادل له ، يعود إلى أن غالبية الشعارات التي نادت بتدخل غزة للدفاع عن مدينة القدس انطلقت من البوابة الرقم ستة في حرم المسجد الأقصى . قبل تنفيذ المقاومة تهديدها، تناقضت تقييمات أجهزة الأمن الإسرائيلية حول نية « حماس » إطلاق رشقة صاروخية باتجاه وسط الكيان . بالنسبة إلى استخبارات الجيش العسكرية « أمان » ، كان التقدير أن رئيس المكتب السياسي للحركة في غزة ، يحيى السنوار ، غير معني بالتصعيد ، وأن أولويته هي تحسين الوضع الاقتصادي في القطاع . أما جهاز الأمن العام الداخلي « الشاباك » ، فذهب إلى أن السنوار رجل متدين ومتطرف ويرى نفسه كصلاح الدين ، وهو يريد أن يكسب الزخم الحالي الموجود للظهور كحامي للقدس ، ورغم ذلك فإنّ كل توقعات الصهاينة كانت منصبة على احتمالين فقط وهما اما أنْ يكون التصعيد المرافق للتهديد على شكل تظاهرات واعتصامات او إنّ المقاومة ستقوم باطلاق مجموعة من الصواريخ على محيط القدس لغرض اثبات مصداقيتها دون اي تصعيد لاحق. وقد وصل راي (الشاباك) وتقديره للموقف الاستخباري قبل ساعة من انتهاء مهلة المقاومة الى المجلس الامني الوزاري المصغر (الكارينت) خلال الجلسة، وجاء في تقدير الموقف الاستخباري توصية من رئيس جهاز الشابال (نراف ارغمان) بتوجية ضربة استباقية ضد غزة الا إنّ نتنياهو باعتباره رئيس للحكومة رفض ذلك وكذلك وزيره (بيني غانتس) وكانت حجتهم إنّ عليهم الانتظار لتلقي

الضربات الاولى للظهور بمظهر الضحية والتوجه بعدها الى حملة عسكرية تحظى بتاييد امريكي.

المبحث الرابع: توازن القوى وحسم المنازلة

المقاومة الاسلامية في الميدان

تواصلت قيادة المقاومة في لبنان مع قيادة المقاومة الفلسطينية ، واستمعت إلى تقييمها للأوضاع. ابلغت المقاومة الفلسطينية "الأخوة في لبنان ، بان التقدير هو أن رئيس حكومة العدو ، بنيامين نتنياهو، لن يلغي مسيرة المستوطنين في القدس ، وأن المقاومة ستنفذ تهديدها وهو قصف العمق الإسرائيلي " كذلك أبلغت قيادة « حماس » ، المعنيين في لبنان ، بان المقاومة الفلسطينية تتوقع ردا اسرائيليا عنيفا وتصعيداً يستمر لقرابة أسبوعين . في تلك الجلسة ، وضعت القيادتان خطين أحمرين يمنع تجاوزهما ويستدعيان تدخل محور المقاومة : الأول أن تستمر المعركة لما يقارب 50 يوما كما جرى خلال حرب 2006، والثاني استهداف المخزون الصاروخي للمقاومة الفلسطينية واضطرارها للاقتصاد في عملية إطلاق الصواريخ تجاه كيان العدو .

مع بدء معركة « سيف القدس » ، رفعت فصائل المقاومة الاسلامية في لبنان المتمثلة بحزب الله درجة استنفارها ، الذي كانت بداته مسبقا تحسبا لأي غدر إسرائيلي خلال مناورة (مركبات النار) التي نوى جيش العدو إجراءها في أوائل الشهر الجاري . لكن ، وعلى رغم إلغاء المناورة مع بدء حملة « حارس الأسوار » (الاسم الذي أطلقه العدو على المعركة)، بقي استنفار الوحدات الصاروخية في «حزب الله » مستمراً . خلال المعركة، تحركت الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة، من خلال تظاهرات على الشريط الحدودي وإطلاق عدد من الصواريخ باتجاه الأراضي المحتلة ، استهدفت اهداف في البحر المتوسط فيما جرى اعتراض واحد بالقرب من مدينة حيفا . كما أطلقت صواريخ من سوريا وطائرة مسيرة (لم يستطع العدو تحديد مكان إطلاقها إن كانت من سوريا أو العراق) ، وذلك بالتزامن مع المعركة الدائرة في جنوب فلسطين . هذا المشهد كان مخططا له ، ويمكن اعتباره مناورة لحرب تتوحد فيها الجبهات ، ولما سيعيشه العدو في « حرب التحرير الكبرى » ، وكل ما جرى في هذه المعركة من تنسيق بين فصائل محور المقاومة كان جزءا من المناورة على المستوى الاستراتيجي ، زار رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، إسماعيل هنية ، لبنان ، حيث التقى الأمين العام لحزب الله، السيد حسن

بدء حملة « حارس الأسوار » (الاسم الذي أطلقه العدو على المعركة)

نصرالله. حينذاك ، اجتمعت فرق العمل التابعة "لحزب الله " ولكتائب القسام " لوضع خطة معركة التحرير ، وما عاشه كيان العدو طيلة 11 يوما هو جزء من هذه الخطة . وبحسب قيادات في المقاومة الفلسطينية ، لم يكن مطلوبا من الساحة الشمالية أكثر مما جرى ، إذ إن التركيز الأساسي انصب على التحركات التي شهدتها الأراضي المحتلة عام (1948) والضفة الغربية المحتلة والقدس والحدود الأردنية . إلا أنه في أي معركة مقبلة ، ادرك العدو أنه لن يواجه غزة فقط ، بل سيضطر لمواجهة غزة ولبنان وسوريا والعراق واليمن أيضا . فخلال العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة ، تواصلت حركة « أنصار الله » اليمنية مع « حماس » ، وطلبت إحداثيات لمواقع تريد استهدافها بالصواريخ والطائرات المسيرة ، لكن « حماس » أبلغت قيادة صنعاء أن الوضع الميداني والعسكري في القطاع جيد جذا ، وفي حال تجاوز العدو أياً من الخطوط الحمراء المتفق عليها مع محور المقاومة ، يمكن ل "انصار الله" عندئذ تنفيذ ضربتها . خاصة وان حركة (انصار الله) اليمنية لها باع طويل في تنفيذ ضربات موجعه بالصواريخ والطائرات المسيرة بالعمق السعودي مما يجعلها قادرة على التعامل مع الاهداف الصهيونية في البحر الاحمر خاصة وإنّ الغالبية العظمى من السفن الصهيونية القادمة من اسيا تمر عبر البحر الاحمر.

تشابك المحور، ومنع الاستفراد باي طرف فيه ، معادلة جديدة رسختها قوى المقاومة في المعركة الاخيرة وواقع أدركته الولايات المتحدة الأميركية التي حذرت الكيان صهيوني على لسان رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة ، الجنرال مارك ميلي ، "من مخاطر زعزعة الاستقرار على نطاق واسع يتجاوز قطاع غزة إذا لم يتم خفض التصعيد بين إسرائيل والفلسطينيين " . هذا الواقع الجديد أكده السيد نصر الله في خطابه في عيد المقاومة والتحرير قبل أيام ، عندما قال إن « أي مس بالقدس والمسجد الأقصى يعني حربا إقليمية » . كما أكده ، أيضا ، السنوار بقوله في مؤتمر صحافي إن « حربا إقليمية ستحصل إذا حدث أي مساس بالمقدسات ، وإن كل قوى المقاومة والممانعة ستكون سوية في أي معركة مقبلة إذا نادتنا المقدسات » . هذه الحقيقة يدركها العدو جيدا ، وهو ما حذر منه مصدر أمني إسرائيلي كبير لموقع « المونيتور » ، قال : « بدا وكأنه تم تنسيق خطابي نصرالله والسنوار » ، مشددا على أنه « يجب أن يؤخذ كلام نصرالله على محمل الجد ، إنه أكثر أعداء إسرائيل مصداقية ، وعادة لا يوجه تهديدات فارغة » ، مضيفا : « حقيقة انضمامه إلى السنوار في هذا التوقيت ، وإعلانه أن أي تحرك إسرائيلي أحادي الجانب في القدس سيؤدي إلى حرب ، يجب أن يعاملا في القدس على أنهما تحذير خطير للغاية » . مواجهة أكثر من طرف خلال الحرب المقبلة سيناريو حذر منه أيضا ، رئيس لجنة

الشؤون الخارجية والدفاع في « الكنيست » (سابقا) ، تسفي هاوزر ، إذ قال: «ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تواجه فيها إسرائيل حماس وحدها في المستقبل ، ستواجه إسرائيل تحديات في الوقت نفسه على جبهات إضافية ، مثل الجبهة الشمالية ما يجعل التحدي أكثر صعوبة). استراتيجية التحرير التي وضعتها المقاومتان في لبنان وفلسطين ، أصبح تحقيقها حتمية ، والحرب الأخيرة على قطاع غزة أظهرت جوانب منها ، والمناورة التي أجرتها المقاومة على امتداد فلسطين المحتلة بينت نقاطة إيجابية وأخرى يجب العمل عليها في المستقبل القريب لتحسينها واستثمارها في " معركة التحرير الكبرى " . كما ستعمل المقاومة ، في المرحلة المقبلة على ترسيخ معادلتها (ربط القدس بغزة) ، حتى لو أدى ذلك إلى جولة عسكرية جديدة .

ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تواجه فيها إسرائيل حماس وحدها

مقارنة ميدانية بين حرب 2006 وسيف القدس

ثمة تفاعلات وانعكاسات مهمة كانت حاضرة في نتائج معركة « سيف القدس" ،التي شكلت انتصارا استيراتيجيا، لا للمقاومة الفلسطينية وحدها ، بل محور المقاومة بأكمله ، تضعنا أمام معطيات جديدة تجعل زوال " الكيان صهيوني " حتمية قريبة ، وأن المسألة مسألة وقت ، وأن هذا الكيان لم يعد يخيف آيا من دول محور المقاومة وحركانها ، وعلينا أن نرى كيفية تسلسل الأحدات دراماتيكية في هذا الصدد:[16]

(16) . شرحبيل الغريب ، تموز – يوليو 2006 وسيف القدس النهايات المحتومة ، موقع ميادين ، 20 تموز 2021

اولا. امتلاك المقاومة الإسلامية في لبنان زمام المبادرة منذ اللحظة الأولى لحرب تموز / يوليو 2006. يتكرر السيناريو ذاته مع المقاومة الفلسطينية . في عام 2021 كانت يدها هي الطولى منذ اللحظة الأولى ، عبر امتلاكها زمام المبادرة والتهديد وقصف مدينة القدس المحتله و " تل أبيب " وأرجاء أخرى طالت كل اراضى فلسطين المحتلة، ردا على ما جرى في الأقصى، وهو دليل واضح على القدرة والجهورية والإرادة واليقين بالنصر، وهدا يؤكد أن لدى المقاومة مشروعا ومحورا متكاملين في مواجهة " إسرائيل " . في المقابل، كان " الكيان صهيوني " في حالة " دفاع " وتخبط وفشل ، لا في حالة ردع كما كانت سابقا، بحيت حققت المقاومة انتصارا غير مسبوق في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، وأفشلت أهداف " إسرائيل " ، في المستويين الاستراتيجي والتكتيكي .

فشلت " إسرائيل " في حرب تموز / يوليو 2006 في تحقيق أهدافها الحقيقية وفشلت أيضا في معركة " سيف القدس " عام 2021

ثانيا. فشلت " إسرائيل " في حرب تموز / يوليو 2006 في تحقيق أهدافها الحقيقية وفشلت أيضا في معركة " سيف القدس " عام 2021. وتمثل الفشل الرئيسي الأهداف

هذه الحرب بالخطة التي أعدها رئيس أركان الاحتلال الإسرائيلي ، آفيف كوخافي ، للقضاء على المقاومة الفلسطينية ، وفرض واقع داخل المسجد الأقصى ، على نحو يؤسس تهويداً كاملة ، بحيث سقط رهان " صهاينة " عندما اعتقدت أن المسجد الأقصى لقمة سائغة تستطيع ابتلاعها .

ثالثا. أظهرت نتائج حرب تموز / يوليو حالة العجز الصهيوني عن تحقيق الأهداف، وكشفت مكامن ضعف وأخطاء استراتيجية . وكان السيناريو ذاته ، متمثلا بالعجز والإفلاس والفشل في تحقيق الأهداف في " سيف القدس " ، بحيث سارعت ، بعد أيام قليلة ، دول في المنطقة إلى التوسط واستجداء المقاومة للقبول بوقف إطلاق زخات الصواريخ ، التي أمطرت كامل الأراضي الفلسطينية المحتلة ، وتوقف الحرب مع تسجيل نتائج إعلان الفشل والهزيمة للقيادة الإسرائيلية .

رابعا. فرفضت المقاومة اللبنانية معادلة جديدة عنوانها أن أي مساس بالقدس المحتلة والمسجد الأقصى يعني حرباً إقليمية ، وهذا ما أكده الأمين العام لحزب الله ، السيد حسن نصر الله ، في خطابه بعد انتصار المقاومة الفلسطينية ، وهو مؤشر واضح على جهوزية " حلف القدس " للدفاع عن القدس المحتلة والمسجد الأقصى . خامسا. انتصار تموز / يوليو 2006 أطاح رئيس وزراء الاحتلال إيهود أولمرت . ومعركة " سيف القدس " وانتصار المقاومة في فلسطين أطاحا رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو ، فالعدو والمصير واحد .

سادسا. انتصار تموز / يوليو 2006أسقط مشروع فرض شرق أوسط جديد، و «سيف القدس» أصابت مسلسل التطبيع بانتكاسة، وأسقطت تنامي مخططات تغييب قضية فلسطين وتصفيتها إلى الأبد، حتى أصبح التطبيع أمام هزيمة « إسرائيل» بلا قيمة، رغم كل ما طبل وزمر له لذلك نجد إنّ هنالك تراجعاً في الاقدام نحو اتخاذ خطوات تطبيع جديدة من باقي الدول.

أن أي مساس بالقدس المحتلة والمسجد الأقصى يعني حربا إقليمية ،وهذا ما أكده الأمين العام لحزب الله

سابعا. كما أسقط الصاروخ تمور/ يوليو مؤامرات داخلية في لبنان، أسقطت معركة « سيف القدس « نظرية « التعايش « التي راهنت عليها « إسرائيل « تجاه فلسطينيى عام 1948، ومحاولة تزييف التاريخ باعتبارهم « عرب إسرائيل» كما أسقطت نظرية « الفلسطيني الجديد « التي عمل عليها الجنرال الأمريكي (كيث دايتون) سنوات لمحاربة المقاومة وملاحقيها بايد فلسطينية، إلا أن جماهير محافظات الضفة الغربية المحتلة خرجت تنادي وتهتف للمقاومة وقياداتها.

ثامنا. من أهم تجليات انتصار المقاومة اللبنانية هروب « إسرائيل» من الأراضي

اللبنانية، وبدأت ملامح هذا السيناريو تتكرر في « سيف القدس « بنسب متصاعدة، بحيث تحطمت الحالة المعنوية للجبهة الداخلية الإسرائيلية، وتهاوت أسطورة الأمن والأمان لدى المستوطن الإسرائيلي، وتبدد وهم إقامة « دولته «، وبدأت الهجرة العكسية للصهاينة فعلية من أرض فلسطين عبر البحث عن دول بديلة للهجرة، بسبب صواريخ المقاومة الفلسطينية.

أهم تجليات انتصار المقاومة اللبنانية هروب " إسرائيل " من الأراضي اللبنانية

تاسعا. نجحت المقاومة في ضرب مفهوم الأمن القومي لـ « دولة « الاحتلال، فلم تعد مش أي بقعة جغرافية آمنة داخل حدود فلسطين المحتلة، الأمر الذي قد يعيد الفطر في صورة « إسرائيل « النمطية في المنطقة، والتي مفادها أنها « دولة» الاستقرار فيها.

عاشرا. علينا أن نستحضر ما كتبته نخب إسرائيلية خلال معركة « سيف القدس»، فكتب المحلل السياسي الإسرائيلي جدعون ليفي في صحيفة « هآرتس» يوم 13 أيار / مايو: «وجهتنا يجب أن تكون أوروبا، وعليهم أن يستقبلونا كلاجئين أعتقد أن هذا أفضل من أن نؤكل أحياء من جانب العرب». كما كتب المؤرخ الإسرائيلي بيني موريس قائلا: « خلال سنوات سينتصر العرب والمسلمون ويكون اليهود أقلية في هذه الأرض، إما مطاردة وإما مقتولة. وصاحب الحظ من يستطيع الهرب إلى أميركا أو أوروبا». كما نستحضر ما كتبه الرئيس الأسبق الجهاز « الموساد»، شبطاي شافيت، وهو أعلى منصب أمني في « إسرائيل»، فأعلن أنه « قد يجد نفسه يوما ما يحزم أمتعته، ويغادر إسرائيل».

خلال سنوات سينتصر العرب والمسلمون ويكون اليهود أقلية في هذه الأرض

أحد عشر. يسجل للمقاومة اللبنانية والفلسطينية تفعيل برامج التعاون، استخبارية وعسكرية، واستراتيجية وتكتيكية، وهذا ما كشفه مؤخرا قائد حركة « حماس » في قطاع غزة، يحيى السنوار، وهو ما أمد المقاومة في قطاع غزة بالتكتيكات خلال معركة «سيف القدس»، ويفتح بذلك آفاقا مستقبلية للتكامل العسكري، والانتقال إلى القوة الاستراتيجية في المعركة الفاصلة للقضاء على « إسرائيل».

التضحيات الفلسطينية

وحسب الصحة الفلسطينية بغزة، فقد أسفرت الحرب على مقتل 243 فلسطينيا، بينهم 66 طفلا، و 39 سيدة، و 17 مسنا، إضافة إلى إصابة 1910 شخص بجروح مختلفة. وأفادت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «أونروا»، بان الهجمات الإسرائيلية أدت إلى نزوح أكثر من 75 ألف فلسطيني عن مساكنهم، ولجا منهم 28

الفا و 700 إلى مدارس الوكالة إما بسبب هدم بيوتهم، أو هربا من القصف، فيما لجأ الأخرون إلى بيوت أقربائهم في مناطق فلسطينية أخرى.ووفق إحصاءات حكومية، بلغت الخسائر المادية أكثر من 322 مليون دولار خلال الأيام العشرة الأولى من التصعيد، وتعرضت 1447 وحدة سكنية في غزة للهدم الكلي بفعل القصف الإسرائيلي، إلى جانب 13 ألف وحدة سكنية أخرى تضررت بشكل جزئي بدرجات متفاوتة.وهدم الجيش الإسرائيلي، بشكل كلي، 205 منازل وشقق وأبراج سكنية، ومقرات 33 مؤسسة إعلامية، فضلاً عن أضرار بمؤسسات ومكاتب وجمعيات أخرى.وقال المكتب الإعلامي الحكومي بغزة، إن 75 مقرا حكوميا ومنشأة عامة تعرضت للقصف الإسرائيلي، تنوعت ما بين مرافق خدماتية، ومقار أمنية وشرطية. كما تضررت 68 مدرسة، ومرفقاً صحياً، وعيادة رعاية أولية، بشكل بليغ وجزئي بفعل القصف الشديد في محيطها، فيما تضررت 490 منشأة زراعية من مزارع حيوانية وحمامات زراعية وآبار وشبكات ري. وقصف الجيش الإسرائيلي أكثر من 300 منشأة اقتصادية وصناعية وتجارية، وهدم 7 مصانع بشكل كلي، وألحق أضرارا بأكثر من 60 مرفقاً سياحياً ولم تسلم بيوت العبادة من العدوان، حيث تعرضت 3 مساجد للهدم الكلي بفعل الاستهداف المباشرة، و40 مسجد وكنيسة واحدة بشكل بليغ. وفي قطاع الطاقة، تضرر 31 محول كهرباء في غزة بفعل الهجمات الإسرائيلية، وتعرضت 9 خطوط رئيسية للقطع. وبينت الإحصائيات الحكومية تضرر 454 سيارة ووسيلة نقل بشكل كامل، أو بأضرار بليغه كما تضررت شبكات 16 شركة اتصالات وإنترنت بفعل القصف الإسرائيلي. وأوضح « الإعلام الحكومي» أن تلك الأضرار هي تقديرات أولية للخسائر، لعدم الانتهاء من حصر كافة المنشآت والبنى التحتية المتضررة، ولصعوبة الوصول لبعض المناطق جراء القتال.

الخاتمة

لاشك إنّ أفرازات هذه المنازلة قد القت بظلالها على كامل المشهد الشرق اوسطي كما انها لعبة دورا حيويا في خلق قواعد اشتباك جديدة في أسس وأساليب وإدارة الحرب اللامتماثلة في ذات الوقت الذي عادت فيه الانفاق الى الواجهة بعد أنْ تصور الكثيرون إنّ الحرب الحديثة واسلحتها الدقيقة والمدمرة قد انهت والى الابد هذا النوع من الحروب، في مجال اخر نجد إنّ الأيام الاحد عشر التي حصلت فيها المنازلة كشفت حقيقة ضعف الكيان الاستخباري الصهيوني وانه لم يعد قادرا كما كان يشاع في السابق بانه يستطيع عد انفاس اعدائه، الامر الاخر والذي ثبت وبما لا يقبل الشك هو إنّ القبة الحديدة التي اخذت من الميزانية الصهيونية الكثير هي الأخرى لم تستطع أنْ تمنح من احتمى تحتها بالأمان . في مجال توازن القوى

بدأت الكفة تميل بشكل واضح الى جانب قوى الممانعة والرفض والمتمثلة بقوى المقاوضة الإسلامية وبمختلف مشاربها حيث إنّ العدو الصهيوني بات يخشى أي منازلة قادمة كونه سيلاقي قوى مختلفة تماما عن تلك القوى التي حاربته على مدى سبعة عقود الداخل الصهيوني لم يعد يؤمن اطلاقا بإنّ أمن كيانه مؤمن لابل انه ادرك بان لا امان بعد الان رغم بقاء أمريكا كحليف استراتيجي، في الختام لابد من التذكير بإنّ ما حصل في رمضان 2021 .

قائمة المصادر

اولاً: الكتب العربية

1. امين محمد حطيط ، انهيار الردع الإسرائيلي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط1، 2018.
2. جمال سند السويدي واخرون – الحرب المستقبلية في القرن الحادي والعشرون – مركز الامارات العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابوظبي ط 1 2014
3. حسن سلامة ، حزب الله في العقل الإسرائيلي ، دراسة اكاديمية ، مركز الاستشارات والبحوث ، ط1، بيروت ، 2006.
4. حسن سلمان خليفة البيضاني - الامن بين مكافحة الارهاب والحرب الحديثة – دارعدنان للنشر ، بغداد ط1 2020ص 212.
5. فاروق نبيل – انت جيش عدوك _حروب الجيل الرابع _دار النهضة مصر القاهرة 2016 .

ثانياً: المجلات العلمية

1. د. مثنى مشعان المزروعي_ استراتيجية الحرب اللامتماثلة ومديات تطبيقاتها الجغرافية والسياسية في المنطقة العربية، المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد 71 لسنة 2020، الصادرة في الجامعة المستنصرية - بغداد العراق .

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

1. حسين عبد الهادي ، عملية صنع قرارات الامن القومي الإسرائيلي ، جامعة الدفاع للدراسات العسكرية ، كلية الأركان ، رسالة ماجستير في العلوم العسكرية ، 2018

رابعاً: مواقع إخبارية

1. الموسوعة الحرة ، طائرة اف 35 التسليح والقدرات ، تاريخ المعاينة 20 تموز 2021.
2. تقرير متلفز من قناة الجزيرة الإخبارية يو 20 اب 2021
3. شرحبيل الغريب ، تموز – يوليو 2006 وسيف القدس النهايات المحتومة ، موقع ميادين ، 20 تموز 2021.
4. مجدي الحلبي ، ما هو مترو حماس ولماذا تهتم به إسرائيل ،موقع ايلاف الإلكتروني ، تاريخ النشر 19 أيار 2021.
5. متابعة إخبارية ، قناة ار تي الروسية يوم 9 أيار 2021.